آراء

أمّ الدنيا والفاتحة أمانة

احمد عمر

ثمّة إجماع على أن الروس هم آباء القصة المعاصرة، والإنكليز هم رواد المسرح، والأميركان سادة الرواية، والعرب هم أرباب الشعر، ولهم السابقة، ولا أجادل ولا أجادل، فتشيخوف هو أشهر قاص عالمي، غير أني رغبت عن قصته، بسبب روحها الكئيبة، ومزاجها الموحش. تعلقت بالقصة التركية فترة، ووجدتُ أن عيبها في استنسار المترجمين البغاث عليها، ولم أستطع أن أقرأ جيمس جويس أسطورة الغرب، وجفوت بورخيس، وأبهجتني قصص جاك لندن وأو. هنري. حاز زكريا تامر شهرة كبيرة لم يحظَ بها غيره من القصاصين العرب، فتُرجم إلى لغاتٍ كثيرة، ولقّب بشاعر القصة العربية، ونفرت من أبطاله القساة. فهو قاص مترجم قبل أن يترجَم، قصصه أشد وحشةً من قصص تشيخوف. ورتعت مع قصص وليد معماري ونجم الدين سمان وخطيب بدلة وتاج الدين الموسى وغيرهم، وكان قصّاصي السوري المفضل هو عبد السلام العجيلي، لكني رعيت في مراعي قصص المصريين قبلهم وفقهت عليها؛ نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ومصطفى محمود، ثم اللاحقين الذين عرفتهم في مجلة العربي في قصص قليلة، فتعلقت بهم، واستوت عاطفتي في جودي ميناء القصة المصرية، ففيها موجدة وحبٌّ لا أجدهما في قصص الآخرين، إنْ مرحت فهي الرضى وإنْ ترحت ومات أبطالها أقرأ الفاتحة. كتب الباحث محمد شاويش مقالا على صفحته بعد زيارة مصر، سأضع له عنوان «وصف مصر». فنظّم ما نعرفه، وتحدّث عن معجزة غير الأهرامات، فشعبها أتمة في اللطف والتهذيب، وتذويب الحواجز الطبقية العالية، وتعجّب من الرشاقة المرورية فهي معجزة من بقايا عصا موسى، وإذلهلته خفّة الظل المصرية، والمودّة والقرب، فقد احتفل المصريون بالبحاث وزوجته، ولأوهما على المتاجر الرخيصة، كأنهم أقارب قدماء، ووجد أنّ المصريين يترامحون، مع أنّ فقرهم شديد، فهم يتنازلون عن جزءٍ من السعر، وقد يتنازلون عنه كله. قال إنّه استقبل في المطار استقبالا خالیا من الود، «وديّ مش عايزة كلام»، لكنّ جمال الروح المصرية أنساه خشونتهم. وتحدّث عن تدين المصريين العميق عندما زار وزوجته مسجد أحمد ابن طولون، ثم أراد زيارة مسجد السيدة أرشدهم عجوز: تسيرون من هنا على طول فتصلون إلى السيدة، «والفاتحة بقى أمانة»!

المناسبة هي رحيل سعيد الكفراوي، الذي قرأت له بعض القصص، منها حسنة وأخرى أقل حُسنا، وهو على عادة الكتاب المصريين قليل الحفول بعلامات الترقيم، وأحيانا تجد أخطاء نحوية شائعة في السرد المصري بعامة، هو ليس بقامة يوسف إدريس، ولا يوسف الشاروني أيضا، ولا جمال الغيطاني، هناك صفة جوهرية في القصة المصرية هي العذوبة والطيبة والعائلة والإنسانية، شاهدت إبّان رحيل الكفراوي فيلما وثائقيا هو مدافن سقارة، وتابعته وكأنه عرس، وسعدت لذكاء علماء مصر ونجابتهم. في قصته «البغدادية» يروي سعيد الكفراوي قصة لقاء بسيدة بغدادية زائرة من أميركا فتذكّره بنفسها فيتذكرها، ثم تموت في الليلة نفسها، فيحتار في دفنها دفنا كريما، فيعجز عن إقناع السفارة العراقية بإعادة جثمانها إلى بغداد، وترفض السفارة الأميركية دفنها في أميركا لعدم حصولها على الجنسية الأميركية، يتصل بأخيه، يسأله فيشير عليه بدفنها في قريتهما، يحضر الأخ بسيارته ويحملان الجثمان. وعند وصولهما إلى القرية، يجدان أهل القرية قد خرجوا جميعا لاستقبال المرحومة، وفي مقدمتهم القرّاء، وهم يكبّرون، ثم يمضي إلى جانبها، وهي على النعش إلى مثواها الأخير بين أهلها وناسها... بعد قراءة القصة، خرجتُ إلى الشرفة أشهق شهيقا طويلا، وأتمنّى أن أموت في قريته.

في قصة «انتظار» لمحمد البساطي، ينبّه لاعبو كوتشينة، في مقهى محطة قطار سانحا، إلى أنّ قطاره حطّ، وذلك ولّا لا تجده في محطات العالم، فيخبر شلة الكوتشينة إنّه أحبّ لعبتهم ويريد أن يعرف أسرارها. ويأتي قطار آخر، ويحذّرونه من شتاء الطين والرياح، فيقول لهم إنّ الشتاء في بلاده أقسى وأظلم. يلعبون ويقدّمون له الشاي أمام وجاق النار، ويأتي قطار منتصف الليل، فيوقظون ضيف بلادهم فيجدونه ميتا، وتسقط من يده ورقة وقد كتب عليها: أسف لما حدث، أحببت أن أموت في بلدكم الجميل.

والفاتحة أمانة، فقد مات في بلدنا وصار مثًا.

ديمقراطية مصرية بطعم الله أعلم

عبد الحكيم حيدر

ألف: بقدرة الله «ليلا»، يُزاح العالم، دكتور حسن الشافعي، عن رئاسة المجمع اللغوي، ويصعد دكتور صلاح فضل «رجل الساعات الأخيرة»، بقوة «القرع» للرئاسة. وهذا ليس غريبا على دكتور صلاح، رجل الحداثة الأسلوبية والجوائز الإماراتية بامتياز في بر مصر «ليلا ونهارا وفي منتصف الليل أيضا»، ابتدأ من اعتبار رواية من التلمساني «سيرة»، ومكتوب على غلافها «رواية»، واستحداث فرع معاصر جداً في جائزة الدولة التشجيعية تحت اسم «السيرة»، نحتها العم صلاح وحده فقط والله، ثم تنسى جائزة السيرة بعد ذلك إلى الأبد، ثم اعتبار رسالة الموسيقار نصير شمة «رسالة دكتوراه» بعدما كبرت عضلاتها ليلا بفعل الهرمونات الحداثية للوتر السادس لعود زرياب، وكانت في الأصل مقدّمة باعتبارها، ماجستير فقط.. مَن فعل ذلك كله ليلا تحت سمع الديمقراطية الأدبية والجامعية في مصر وبصرها، أليس قادرا أن يصير رئيسا للمجمع اللغوي رغم أنف ديمقراطية الأعضاء وأصواتهم؟

باء: نال الدكتور عبد الرحيم علي درجة الدكتوراه، «ليلا» أيضا. لا تسألني عن الجامعة أو اللجنة المناقشة، ولا في أي فرع نالها، فقد نالها وخلاص، وعلى المتضرّر اللجوء إلى القضاء، إن كان هناك أي متضرّر أصلا. ودخل منطقة الدفّي، ليلا أيضا، منذ سنواتٍ خمس مترشّحا في البرلمان. ونجح من أول ساعتين في الفرز، بأصوات «180 ألفاً من المحيين والمحبين بعد الرحيم وكرمه الحاتمي على فقراء المنطقة». ولا تسأل عن «ماله السياسي أصلا»، فقد مات عائلة فدّان من أجود الأراضي بأرض سلطان، ليلا أيضا. وهو ابن فقراء من أبو هلال في المنيا أصلا، وتلك إرادة الله أيضا. ولا تسأل عن الأسباب، لأنك سوف تدخل دائرة الكفر والعياذ بالله. وبعدما ترعرعت الديمقراطية في خصلات شعر عبد الرحيم علي، وصار له مركز بحثي ودراسي وسياسي في باريس والإمارات، يحصل من شهر في منطقة الدقي نفسها على «17 ألف صوت فقط». ويخرج راسبا بعد ساعتين من الفرز أيضا. أبعد ذلك تسألني كيف بنى المصريون الهرم، وباعه المرحوم محمد مرسي عدّا ونقدا؟

تاء: فاز مرتضي منصور هو محامي العاصمة ورئيس نادي القرن مع ابنه، وأيضا عضو البرلمان مع ابنه، وكان يجهز حفيده للأهلي، تحت السلم. وفي ليلةٍ وضحاها، خرج مرتضي منصور من رئاسة نادي القرن، وأخذ معه ابنه، وخرج أيضا من البرلمان، وأخذ معه ابنه، بالشفافية والقانون والغيتار والعود أيضا. أبعد ذلك تسألني كيف باع مصري خفيف الظل المترو لواحد صهيوني من أرمنت؟

أخيرا وليس آخرا، وتلك مناطق الحزن التي لا بد منها في هذه الأيام السوداء: كي يعتبر الناس في هذه البلاد. يموت الأدباء، في مصر بعد الوحدة والمرض، كسائر الناس، من هول جرعات الديمقراطية التي تكون، في بعض الأحيان، قد زادت عن الحد المسموح باستحمالة أو تجرّعه. ومنذ يومين، مات الكاتب سعيد الكفراوي، كان حكّاء من ريف الدلتا. جاء كي يحكي عن «جمل عبد المولي» في المدينة. ويحكي مثلا عن ساقية نبتت تحتها ليلا فتاة جميلة تظهر، ليلا، بشعرها الطويل الذي يلفّ مع الساقية طول الليل، ورجل من بعيد يغني أو يبكي في شجن، ولا يقترب من الساقية.

والفتاة في الليل تراه بوضوح، وتمدّ له يدها بالماء، «هي العطشانة. والرجل يغني رغم أنه جائع وحزين وشعر الفتاة يلف حول حديد الساقية، حتى الفجر. هكذا في كل ليل. حتى جاء تاجر وفكّ الساقية، وباعها كخردة في بولاق أبو العلا. من بعدها لم تظهر ثانية الفتاة، وقيل إنها غرقت في النيل، أو دفنت تحت الساقية، وهذا ما لم يؤكّده سوى ولد ينفه، سواء أماتت أو تم دفنها، ككل حكايات سعيد التي يحكيها كل مرة بشكلٍ مختلف للاصحاب أنفسهم، ضاحكا وكريما ومحبا. هكذا ذهب سعيد إلى بئر حكاياته، كي يزور الموت الذي طالما حكى لاصحابه عنه.

عن «الحُرقة» والفساد بشأن الجزائر

محمد سي بشير

ترتفع أعداد الجزائريين المغادرين إلى شواطئ الضفة الشمالية من المتوسط، في علامة فارقة على فقدان الأمل من تحسّن الأحوال في بلدهم، وهو ما يضيّع عليه طاقات لا يمكن حصرها من الإبداع وعنفوان فترة العمل والنشاط الأجدى للاقتصاد. ولكن ما يطرح إشكالية حقيقية، هو الارتباط بين ظاهرة الحرقة (الهجرة غير الشرعية، بلغة المغاربيين) وأخرى أخطر، الفساد (رشوة ونهب إضافة إلى صفقات مشبوهة)، إثباتاً للتهديد الذي يشكله تضافر الفساد والحرقة على مستقبل الجزائر والتغيير المأمول فيها.

لا يمرّ يوم من دون أن نسمع عن عشرات الجزائريين يقضون موتاً في محاولتهم المرور إلى الضفة الأخرى من المتوسط، حيث يأملون حياة أفضل. وما يحزّ في النفس، حقاً، أعمار أولئك المهاجرين إلى الموت، وهم في العشرينيات، أي أفضل سنوات الإنسان من حيث عنفوان النشاط، والإبداع والقدرة على نحت الصخر، وليس فقط تتبّع فرص الحياة في كل النشاطات والقطاعات، بصفة عامّة.

لا يحسن أن تجري المقاربة التي تحاكم الفساد بقرائن القانون وحدها، بل أيضاً من خلال القدرة على التي تكون الجزائر قد ضيعتها لو توافر الاستخدام الأمثل والأجدى لما نُهب وسُرق من خيرات الجزائر. ولهذا تنظر هذه المقالة في ما تضيّعه الجزائر عند تضافر ظاهرتي الفساد والحرقة، وما يمكن أن تشكّله من تهديداتٍ كبيرة لا يمكن سبر أغوارها، في الحال، وإنما يمكن تصوّر تداعياتها في مستقبل الأيّام والأعوام.

بداية، تفيد كل الإحصائيات بأنّ ثلثي الجزائريين ممّن أعمارهم بين العشرين والأربعين عاماً، في بلد بمساحة قارّة، وبخيرات لو كتبنا عنها لما كفتنا مجلّدات، ولو عملنا على استخدامها، بمقاربة مثلى، لأصبحت الجزائر قوّة ناشئة، وهو ما يوجد الغرابة التي يعبّر عنها، دوماً، من الجميع، كيف لبلد له تلك الخيرات يسعى شبابه إلى الهجرة في قوارب الموت، وفي الوقت ذاته، يعمل بعضهم على نهب خيراته تلك، أو تركها من دون الاستغلال الأمثل، لنصل إلى نتيجة لحّصها الخبير الاقتصادي عبد الرحمن مبتول، في مقولة «لم تتحرّك الجزائر، قيد أنملة، من 1963 إلى 2010»، أي إنها لم تنجز شيئاً مما يمكن اعتباره تحويل تلك الخيرات البشرية والمادية إلى قاعدة تجعل من الجزائر قوة إقليمية، حقيقة لا مجازاً.

كانت الجزائر، تاريخياً، في عهد الزومان أسالیب عيش أبناء المنطقة، لم يألفوها حتى في أشد مراحل الأزمة السورية حدّية وضرراً، إلى درجة أن أصنافاً من الأطعمة وأنواعاً من المشتريات، والتي كانت موجودة دائماً في منازل نسبان تغيير الموبايل أو الإكسسوارات النسائية وعادات الزواج والمظاهر التي كانت جزءاً أهم من العلاقة الأسرية والاجتماعية نفسها. ولكن ثلاث قضايا تشكل عمقَ وجذر الوجود الاجتماعي والاقتصادي، لطالما شكلت العصب الرئيس في معيشة الأهالي، وخصوصاً الطبقة الوسطى، وتمثل أساس تمسّك المجتمع المحلي بأرضه، نصف قرن منذ استلام حزب البعث السلطة، على الرغم من كل الممارسات التي طبقت ضده، خصوصاً الكرد. بل يمكن القول إن تلك الأقانيم الثلاث شكلت المسار الأساسي في عملية الترقي الاجتماعي والبشري ولمادي: الصحة، السكن، التعليم. لكنها اليوم تحوّلت من سلّم التطور البشري والاكتفاء الذاتي إلى سيطرة قطاعات ربحية وتدخلات منظمة ومخطط لها، للسّواعد وللأراضي، ليس إلّا، على الرغم من توافر الموارد من جراء الريع النّفطي والغازي التي كان يمكنها أن تُشكّل قاعدة تمويل التّنمية وتحويل البلاد إلى مصدّر لموارد غذائية، صناعية غذائية، ولغيرها من الخيرات.

> لا يحسن أن تجري المقاربة التي تحاكم الفساد قانونياً فقط، بل أيضاً من خلال الفرص التي تكون الجزائر قد ضيعتها

بالنّتيجة، نحن أمام استغلال سيّئ للموارد البشرية والمادّية، وتركها ضامرة، بكسر الانكشاف، وبدفع إلى اللّجوء للاستيراد، وهو الباب الذي ولج منه الفساد، ذلك أنّ الإبقاء على البلاد مستوردة لكلّ شيء وبتوافر موارد الرّيع، فأنّ ذلك مناط فتح الباب، واسعاً، لصفقات مشبوهة ضيّعت الجزائر، من جزائها، زهاء 1,500 مليار، وهو مبلغ ضخم جدّاً، ربما سيق للمبالغة، ولكنّه قريب من الحقيقة المرّة التي نحاول الوصول إليها، أي مقدار الفرص التنموية التي ضاعت على البلاد، وأوصلت شباب الجزائر إلى اليأس الذي جُسّد في ملحمة الموت في قوارب الهجرة غير الشّرعية.

أشار الكاتب، في مقالة سابقة في «العربي الجديد»، إلى طريق ثلاثي، كان في وسعه المزاوجة بين عنفوان الشباب وخيرات البلاد: الزراعة الصحراوية، بصفة خاصة، تكنولوجيا الطاقة البديلة، بشهادة مؤخرين معروفين. وهناك وثائق مصوّرة، من العهد الاستيطاني القريب، تبرز كيف كانت البواخر تحمّل من موانئ الجزائر، إلى فرنسا وإلى العالم، خيرات غذائية أنتجتها سواعد الجزائريين. ويُعدّ هذا إثباتاً أكيداً على أنّ الانكشاف الغذائي الحالي هو سوء استغلال الأراضي، مهما هو موجود الآن، وما يمكن استصلاحه بالتكنولوجيا الموجودة والمستقبلية، لن يكفيه تشغيل الشباب الجزائري، فقط، بل سيحتاج إلى سواعد عشرات الملايين من الشباب، وسيدرّ، على أقل تقدير، من الطاقة البديلة، المنتجات الزراعية والتكنولوجيا، ما يفوق صادرات الجزائر من الغاز والنفط، حالياً، بمئات المرات، وهذا ليس ضرباً من الخيال، بل حقيقي بالأرقام والدراسات العلمية المؤكدة.

تحدث خبراء في مؤتمر الذّكاء الضّناعي، العام الماضي في الأردن، عن أرقام هذا القطاع التكنولوجي الدّقيق، في حدود العشرية المقبلة (2030)، إنّها ستصل إلى ما يربو على 1,500 مليار دولار، أي ما يفوق الصناعة الطاقوية العالمية، الآن. ويرى الجميع حجم الأرقام الفلكية التي وصلت إليها شركات الإبداع الافتراضي، كما يرى سلطة الخوارزميات، كيف تكبر، يوماً بعد يوم، وهو مناط ذلك الطريق الذي ذكرنا جانباً منه. وكان، بالإمكان، أن يستوعب آمال الشباب، ويشكّل سبيل الاستغلال الأمثل والأجدى لأموال الرّيع النّفطي. بل الجميع يرى، الآن، إبداع الشباب الجزائري، عندما تُعطى له الفرصة، كيف يستغلّ تلك الفضاءات من الإبداع الرّقمي والعالم الافتراضي، لإيجاد مكانة تحت الشمس للبلاد، لو لم تُضيّع الفرصة بالفساد.

طبعاً، ليس المراد سوداوية من خلال العرض السابق، بل الإشارة، فقط، إلى ما ضُيّع من فرص، وهي لم تضع إلى الأبد، بل يمكن اللحاق بما يمكن اللحاق به باستغلال مغاير، شرط أن يسبق ذلك حاضنة للإبداع وأمل للمستقبل، قد تكون نقطة انطلاقه مراجعة موقف الجزائر من مشروع الحلم المستقبلي لإنتاج الطاقة البديلة النظيفة، في الصحراء الجزائرية، المعروف بـ«ديزرتك» بشراكة مع التكنولوجيا الألمانية. كان هذا المشروع، المقترح من ألمانيا، فرصة لا يمكن تضييعها، باعتبار أن الطاقة البديلة هي مناط الاستغلال الأمثل لخيرات الصّحراء الجزائرية، لأنها ستصبح، لو نُفّذ المشروع، مكاناً لتجسيد الطريق الثّلاثي المشار إليه. بل كان بإمكانه أن يشكل قاعدة لتحويل التكنولوجيا وخزّاناً لإبداع الشباب، وأملاً لهم لتحقيق ذواتهم، بعيداً عن يأس البطالة والحياة دون أفق التي رموا، بسببها، أنفسهم في عرض البحر في قوارب الموت، نحو مستقبل لا يعلمون، حتى لو وصلوا إليه، كيف سيكون، بالنسبة إليهم، بسبب العنصرية وكراهية الآخر التي تنتشر في الغرب.

بالأرقام، فقط، كان بإمكان مشروع «ديزرتك»، طبعاً بمفاوضات سيادية وبموقف حازم يحفظ حقوق البلاد، مستقبلاً، أن يدرّ على الجزائر زهاء 80 مليار دولار، إضافة إلى ما كان، بالإمكان، الحصول عليه من فرص لتغيير صورة الصحراء القاحلة إلى مشاريع للزراعة، للإبداع ولتكنولوجيا الطاقة البديلة باستغلال المشروع وتداعياته، إضافة إلى تشغيل لملايين من الشباب.

قد يكون إيجاد وزارة لهذا القطاع، أي العالم الرقمي وحاضنة لمشاريعه، كما قد يكون إيجاد وزارة للزراعة الصحراوية، في التغيير الحكومي أخيراً، سباقين تصحيحيين لهذا الحُلم، ولكنّ ثمة حاجةً، معه، إلى سياقات أملة أخرى، تحُول دون استمرار التعثّر والانكشاف، بمقاربة الفساد. وتستغلّ، مثالياً، طاقات الشباب، وصولاً إلى تجسيد عالم الإبداع الذي ننتظره، بدلاً من مشاهدة أمواج البحر، وهي تلفظ أجساداً، بدون حركة، لطاقاتٍ لا متناهية العنفوان، النّشاط والأمل، فهل من مُصغٍ.

(كاتب وباحث جامعي جزائري)

«المنطقة الكُردية» في سورية تودع الطبقة الوسطى

شفان إبراهيم

تثير حدّية الأحداث والمشكلات المتراكمة المرافقة للأزمات على عمل الذاكرة، فتجعل منها ضعيفة هشة، تُنسى دوماً. ولم تمضِ فترة طويلة حين وعدت التيارات السياسية الرئيسية في شمال شرق سورية، وخصوصاً «الإدارة الذاتية»، وبعض الأحزاب الأخرى، بشعاراتها في كل احتفال بذكراها السنوية، أو الانتخابات التي أجرتها، أو عبر ألسنتها وإعلامها الذي يتحدّث دائماً عن «شعب»، المصطلح الذي أريقت دماءٌ كثيرة تحت يافطته، وفرضت سطوتها عبرها، ولكن من دون أن يجد هذا الشعب حلولاً لمشكلاته التي كبرت وزادت. تركّزت كل الشعارات على إقناع المجتمع المحلي بقدرات أصحابها، الخارقة والحارقة، وقوتهم التي تفوق حجم عقولنا، «نحن المشتغلين في الشأن العام»، الذين يُنظر إلينا مُجرد مُثيري المشكلات، وكأنهم يقولون: «الناس عم تصدق كذباتنا، لشو عم تفيقون»، ومحاولة منهم إزالة كل العوائق أمام تسويق أفكارهم لبناء «روج آفا قوية» أو «أمة شمال شرق سورية» المنيعة والعصية على المؤامرات، وهذه المؤامرات لم نعرف بعد مصدرها، الداخل أم الخارج. والواضح أن هذه القوة التي تتحدّث عنها «الإدارة الذاتية» ليست سوى التعويذات والدعاء. تتجه المنطقة حالياً، بتركيبتها الاجتماعية واقتصادها وخزانها البشري، إلى أسفل القاع في السلم المعيشي، وبدأ الوهن والعجز يشكّلان السمة الأبرز. وتدريجياً أصبحت سورية خطراً على العيش الآمن، وتفقد رويداً رويداً من دائرة المناطق الفاشلة والآيلة للسقوط التي لا يُنصح العيش فيها، بعد أن تفككت جغرافيتها، وزهقت أرواح الأهالي فقراً وجوعاً وخوفاً. ووحدهم الزعماء السياسيون وتفرّعاتهم في شمال شرق سورية لم يشعروا بعد بالتغيرات التي عصفت بالأسر الفقيرة، فلا كثرة أحزابها حمتها من الانزلاق، ولا قوة عسكرية استطاعت أن تحميها وتحضنها، ولا مؤسّسات مختلفة ومتنوعة، وبتسميات متعدّدة، تمكّنت من تقديم الحلول، عدا عن انسداد أفق المعونات الدولية والمساعدات الإنسانية؛ ربما نتيجة للسياسات المتبعة داخلياً.

يدفع المجتمع المحلي ضريبة انخفاض سعر صرف الليرة السورية أمام الدولار. وإذ لا مجال لتحميل «الإدارة الذاتية» مغبة هذا الهبوط السريع؛ فالقضية مرتبطة بالبنك المركزي في دمشق، والوضع الاقتصادي في لبنان، وتأثير العقوبات الاقتصادية على سورية، عدا عن تأثيرات قانون قيصر وتداعياته. ولكن تذبذب السعر وارتفاعه أكثر من 400% منذ آخر استقرار، حين كان سعر الدولار الواحد يساوي 500 ليرة سورية، ووصوله حالياً إلى قرابة 2800، ربما تصبح هذه المناطق شبيهة بفنزويلا أو إيران أو السودان. ولكن الذنب كله يتوجه صوب «الإدارة الذاتية»، لجهة عدم تأمين البديل عن أسواق دمشق أو حلب التي يعتمد عليها التجار في تأمين المستلزمات المختلفة، عبر فتح المشاريع التي تؤمّن القوت اليومي، في منطقة تتوفر فيها كل مقومات العمل الإنتاجي. ويعود ذلك كله إلى بؤس حالة الاقتصاد وغياب الإنتاج وندرة الخطط والمشاريع الإنمائية والتجارية التي توفر فرص العمل، وتؤمن الحاجات المحلية. حالياً، يتقاضى الموظف في الحكومة السورية قرابة 25 دولاراً شهرياً، ويحصل العامل في أي من مؤسسات الإدارة الذاتية على قرابة 85 دولاراً شهرياً، وفقاً لذلك، الراتب السنوي للموظف في أي من مؤسسات الحكومة السورية 600 دولار، والراتب السنوي لموظف الإدارة الذاتية قرابة الألف دولار. علماً أن الراتب السنوي يعتبر مؤشر نجاح السياسات الاقتصادية أو فشلها، ويستخدم للمقارنة بين تلك الدولة (منطقة الحكم) مع جيرانها ودول المنطقة، والبلاد الأخرى أيضاً. وهو ما يجعل مناطق الإدارة الذاتية متأخرة عن معظم دول المنطقة، باستثناء إيران، ومواطني الحكومة السورية.

وإلى هذا، تتبين ملامح مرحلة جديدة في كانت جزءاً أهم من العلاقة الأسرية والاجتماعية نفسها. ولكن ثلاث قضايا تشكل عمقَ وجذر الوجود الاجتماعي والاقتصادي، لطالما شكلت العصب الرئيس في معيشة الأهالي، وخصوصاً الطبقة الوسطى، وتمثل أساس تمسّك المجتمع المحلي بأرضه، نصف قرن منذ استلام حزب البعث السلطة، على الرغم من كل الممارسات التي طبقت ضده، خصوصاً الكرد. بل يمكن القول إن تلك الأقانيم الثلاث شكلت المسار الأساسي في عملية الترقي الاجتماعي والبشري ولمادي: الصحة، السكن، التعليم. لكنها اليوم تحوّلت من سلّم التطور البشري والاكتفاء الذاتي إلى سيطرة قطاعات ربحية وتدخلات منظمة ومخطط لها، للسّواعد وللأراضي، ليس إلّا، على الرغم من توافر الموارد من جراء الرّيع النّفطي والغازي التي كان يمكنها أن تُشكّل قاعدة تمويل التّنمية وتحويل البلاد إلى مصدّر لموارد غذائية، صناعية غذائية، ولغيرها من الخيرات.

> تدمّرت مدّخرات المواطنين، وتفسّخت البنى الاجتماعية، وانهارت منظومة القيم، وتدمّرت الطبقة الوسطى

بالنّتيجة، نحن أمام استغلال سيّئ للموارد البشرية والمادّية، وتركها ضامرة، بكرس الانكشاف، وبدفع إلى اللّجوء للاستيراد، وهو الباب الذي ولج منه الفساد، ذلك أنّ الإبقاء على البلاد مستوردة لكلّ شيء وبتوافر موارد الرّيع، فأنّ ذلك مناط فتح الباب، واسعاً، لصفقات مشبوهة ضيّعت الجزائر، من جزائها، زهاء 1,500 مليار، وهو مبلغ ضخم جدّاً، ربما سيق للمبالغة، ولكنّه قريب من الحقيقة المرّة التي نحاول الوصول إليها، أي مقدار الفرص التنموية التي ضاعت على البلاد، وأوصلت شباب الجزائر إلى اليأس الذي جُسّد في ملحمة الموت في قوارب الهجرة غير الشّرعية.

أشار الكاتب، في مقالة سابقة في «العربي الجديد»، إلى طريق ثلاثي، كان في وسعه المزاوجة بين عنفوان الشباب وخيرات البلاد: الزراعة الصحراوية، بصفة خاصة، تكنولوجيا الطاقة البديلة، بشهادة مؤخرين معروفين. وهناك وثائق مصوّرة، من العهد الاستيطاني القريب، تبرز كيف كانت البواخر تحمّل من موانئ الجزائر، إلى فرنسا وإلى العالم، خيرات غذائية أنتجتها سواعد الجزائريين. ويُعدّ هذا إثباتاً أكيداً على أنّ الانكشاف الغذائي الحالي هو سوء استغلال للأراضي، مهما هو موجود الآن، وما يمكن استصلاحه بالتكنولوجيا الموجودة والمستقبلية، لن يكفيه تشغيل الشباب الجزائري، فقط، بل سيحتاج إلى سواعد عشرات الملايين من الشباب، وسيدرّ، على أقل تقدير، من الطاقة البديلة، المنتجات الزراعية والتكنولوجيا، ما يفوق صادرات الجزائر من الغاز والنفط، حالياً، بمئات المرات، وهذا ليس ضرباً من الخيال، بل حقيقي بالأرقام والدراسات العلمية المؤكدة.

تحدث خبراء في مؤتمر الذّكاء الضّناعي، العام الماضي في الأردن، عن أرقام هذا القطاع التكنولوجي الدّقيق، في حدود العشرية المقبلة (2030)، إنّها ستصل إلى ما يربو على 1,500 مليار دولار، أي ما يفوق الصناعة الطاقوية العالمية، الآن. ويرى الجميع حجم الأرقام الفلكية التي وصلت إليها شركات الإبداع الافتراضي، كما يرى سلطة الخوارزميات، كيف تكبر، يوماً بعد يوم، وهو مناط ذلك الطريق الذي ذكرنا جانباً منه. وكان، بالإمكان، أن يستوعب آمال الشباب، ويشكّل سبيل الاستغلال الأمثل والأجدى لأموال الرّيع النّفطي. بل الجميع يرى، الآن، إبداع الشباب الجزائري، عندما تُعطى له الفرصة، كيف يستغلّ تلك الفضاءات من الإبداع الرّقمي والعالم الافتراضي، لإيجاد مكانة تحت الشمس للبلاد، لو لم تُضيّع الفرصة بالفساد.

> لا يحسن أن تجري المقاربة التي تحاكم الفساد قانونياً فقط، بل أيضاً من خلال الفرص التي تكون الجزائر قد ضيعتها

طبعاً، ليس المراد سوداوية من خلال العرض السابق، بل الإشارة، فقط، إلى ما ضُيّع من فرص، وهي لم تضع إلى الأبد، بل يمكن اللحاق بما يمكن اللحاق به باستغلال مغاير، شرط أن يسبق ذلك حاضنة للإبداع وأمل للمستقبل، قد تكون نقطة انطلاقه مراجعة موقف الجزائر من مشروع الحلم المستقبلي لإنتاج الطاقة البديلة النظيفة، في الصحراء الجزائرية، المعروف بـ«ديزرتك» بشراكة مع التكنولوجيا الألمانية. كان هذا المشروع، المقترح من ألمانيا، فرصة لا يمكن تضييعها، باعتبار أن الطاقة البديلة هي مناط الاستغلال الأمثل لخيرات الصّحراء الجزائرية، لأنها ستصبح، لو نُفّذ المشروع، مكاناً لتجسيد الطريق الثّلاثي المشار إليه. بل كان بإمكانه أن يشكل قاعدة لتحويل التكنولوجيا وخزّاناً لإبداع الشباب، وأملاً لهم لتحقيق ذواتهم، بعيداً عن يأس البطالة والحياة دون أفق التي رموا، بسببها، أنفسهم في عرض البحر في قوارب الموت، نحو مستقبل لا يعلمون، حتى لو وصلوا إليه، كيف سيكون، بالنسبة إليهم، بسبب العنصرية وكراهية الآخر التي تنتشر في الغرب.

بالأرقام، فقط، كان بإمكان مشروع «ديزرتك»، طبعاً بمفاوضات سيادية وبموقف حازم يحفظ حقوق البلاد، مستقبلاً، أن يدرّ على الجزائر زهاء 80 مليار دولار، إضافة إلى ما كان، بالإمكان، الحصول عليه من فرص لتغيير صورة الصحراء القاحلة إلى مشاريع للزراعة، للإبداع ولتكنولوجيا الطاقة البديلة باستغلال المشروع وتداعياته، إضافة إلى تشغيل لملايين من الشباب.

قد يكون إيجاد وزارة لهذا القطاع، أي العالم الرقمي وحاضنة لمشاريعه، كما قد يكون إيجاد وزارة للزراعة الصحراوية، في التغيير الحكومي أخيراً، سباقين تصحيحيين لهذا الحُلم، ولكنّ ثمة حاجةً، معه، إلى سياقات أملة أخرى، تحُول دون استمرار التعثّر والانكشاف، بمقاربة الفساد. وتستغلّ، مثالياً، طاقات الشباب، وصولاً إلى تجسيد عالم الإبداع الذي ننتظره، بدلاً من مشاهدة أمواج البحر، وهي تلفظ أجساداً، بدون حركة، لطاقاتٍ لا متناهية العنفوان، النّشاط والأمل، فهل من مُصغٍ.

(كاتب وباحث جامعي جزائري)

كاريكاتير — عماد حجاج

السودان... تأملات في صورة السلام

طارف الشيخ

وقّعت الحكومة السودانية، في أغسطس/ آب الماضي، اتفاق جوبا للسلام مع حركات مسلحة في إقليم دافور وفي جنوب النيل الأزرق. وبغض النظر عن تفاصيل مخيفة تضمنها بلا جدال، هو خطوة في الاتجاه العام الصحيح نحو تحقيق السلام المنشود في السودان، تفاصيل مخيفة، لأنه اتفاق ناقص، لن يجعل أحدا في السودان أو خارجه يقول إن السلام قد تحقق الآن، طالما بقيت قوى فاعلة ومؤثرة خارجه، وتتمثل هذه التفاصيل المخيفة الصورة التذكارية التي اتخذت عقب التوقيع، بكل من فيها من شخصيات تجسد تناقضات السودان السابق، بل الإشارة، فقط، إلى أن المجلس السيادي قد نجحوا في جذب مجموعة تضم الجبهة الثورية أو ما يعرف بقوى الهبوط الناعم ومناصريهم داخل الحرية والتغيير، وهي مجموعات رافضة، في السابق، على الإبقاء على نظام عمر البشير مع تغييرات شكلية، فاللجنة الأمنية، أو المكوّن العسكري داخل مجلس السيادة، عمل لهذه اللحظة، ومنذ بداية تسلمه مهمة ترتيب السلام، وانتزاعه عنوة من المكون المدني بالسيادي.

بصورة أخرى، بدت أطماع المكون العسكري في الهيمنة على مفاصل الحكم واضحة، وتكسب جولة تلو الأخرى، وسط تشتت قوى الحرية والتغيير، إلى جانب فشل الحكومة المدنية الواضح في معالجة الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتفاقمة فوق طاقة المواطن السوداني. ومن المخاطر أن هذا التحالف العسكري مع الحركات يتم وسط تفاوت في الرؤى، فالمكون العسكري لا يضمر احتراما للحركات، وإنما يتخذها معبرا لمرحلة الهيمنة التامة على الحكم في السودان. الأمر الثاني: كيف سيتم استيعاب القوات التابعة للحركات في الجيش بشكله الراهن (قائد عام واحد لجيشين)؟ إذ الصورة، رئيس حركة تحرير دارفور عبد الواحد النور وقائد الحركة الشعبية عبد العزيز الحلو. بصورة أخرى، تعلن الصورة بيعد عمليا قوى الحرية بطابع عسكري، اتخاذ القرار في السودان. إنه تحالف غرماء الأمس، بمباركة إقليمية إماراتية مصرية بشكل خاص. وتعكس الصورة أيضا انتصارا عسكريا مرحليا لأعداء الأمس، البرهان وحميدتي من جهة وقادة الحركات المسلحة من جهة ثانية. إنه بداية الإعلان الرسمي عن «التمايز» الذي أشار إليه حميدتي، لدى مخاطبته الحشود المحتفلة بالسلام في الخرطوم في 15 نوفمبر/ تشرين الثاني الحالي. ما يعنيه حميدتي أن العسكريين في المجلس السيادي قد نجحوا في جذب مجموعة تضم الجبهة الثورية أو ما يعرف بقوى الهبوط الناعم ومناصريهم داخل الحرية والتغيير، وهي مجموعات رافضة، في السابق، على الإبقاء على نظام عمر البشير مع تغييرات شكلية، فاللجنة الأمنية، أو المكوّن العسكري داخل مجلس السيادة، عمل لهذه اللحظة، ومنذ بداية تسلمه مهمة ترتيب السلام، وانتزاعه عنوة من المكون المدني بالسيادي.

بصورة أخرى، بدت أطماع المكون العسكري في الهيمنة على مفاصل الحكم واضحة، وتكسب جولة تلو الأخرى، وسط تشتت قوى الحرية والتغيير، إلى جانب فشل الحكومة المدنية الواضح في معالجة الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتفاقمة فوق طاقة المواطن السوداني. ومن المخاطر أن هذا التحالف العسكري مع الحركات يتم وسط تفاوت في الرؤى، فالمكون العسكري

كورونا والمزيد من إضاعة الوقت

دلال البزري

الوباء يجمّد الحياة بإجراءاته القسرية. يلْجم المستقبل، ينْهى عنه. يوقف الأنشطة المهمة والثانوية. لقمة العيش واللهو. الجهد والاحتفال. كما الجدّ والمرح، أو اللعب والمزاح. كل هذا يحْكم الوباء إغلاقه بمسامير من الضجر. وللضجر علاقةٌ حميمةٌ بالوقت، ومعاديةٌ له في آن. يريد له أن ينتهي. لينتقل إلى الوقت المرجو، إلى الإنشراح. وفي الضجر إضاعةٌ أكيدةٌ للوقت. وأنت غارقٌ فيه، لا تنجو منه. لا تستطيع أن تنجو منه. تنْقصك الطاقة على ذلك. فيما الضجر سحبها من روحك.

مع الوباء، يصبح الوقتُ متوافراً بما يشبه السيل الجارف لأنهر شرسة. طوفانٌ تغرق في مياهه. لبرهةٍ تعتقد أنك، مع العزلة والثبوت، يمكن لفائض الوقت هذا أن يريحك من مشقّات كسب العيش، أو الاستمرار على قيده. ولكنك، بسرعةٍ، تنتبه إلى ما يفعله هذا الفائض بكَ: إرهاق جسدي، معنوي، نفسي، روحي. تعب من ضياع الشعور بالوقت. وتعب من فقدان الروتين والإنتظام، دورات الفصول والأعياد والأيام. وتعب جارف من الوعي بهذا الضياع. ومن محاولات كسره، أو التعايش معه، أو حتى الانحناء لضروراته. ولكن، مهما فعلت لتفلْسف تلك المحْنة، فلا بدّ لك أن تلاحظ مفارقةً هائلة، تطغى على جوانب أخرى من الوباء: كل هذا الوقت الممنوح لك لا يفعل غير إضاعة وقتك. أو بالأحرى وقتك الآخر، المطلوب. والوباء لا يساعدك على التعايش «المفيد» مع وقته. هو يذكّرك في كل ثنيةٍ من ثناياه أن الوقت صديقه، ملازمٌ لوجوده. صديقٌ للوقت، إذن عدوك. انظر إلى كميةٍ من الأسئلة التي يفرضها عليك. وكلها عن الوقت: أسئلة تتقلّب الإجابة عنها تبعاً لصعود الفيروس، أو تراجعه. من نوع: كم من الأيام سيدوم الإقفال التام؟ في أية ساعة يسمح للمواطنين بالخروج من منازلهم؟ في أية ساعةٍ تفتح المتاجر؟ الضرورية والكمالية؟ كم من الوقت تكون نتيجة فحص الوباء صالحة؟... إلخ. ثم فئة أخرى من الأسئلة، لا تتبدّل الإجابة عنها. من نوع: كم من الوقت سيدوم الوباء؟ متى تتخلص البشرية منه؟ متى يكون اللقاح ضد الوباء جاهزاً؟ اللقاح الحقيقي، أقصد، لا الإعلامي. ومتابعة للمفارقة أعلاه: من أن طغيان الوقت، هذا الحساب غير الموفّق للوقت، يضيّع الوقت، وأحياناً يزيله من كتاب الحياة.

ومهما كان عمركَ، خسارتك للوقت فادحة. لا تقُل إن الشباب هم أكبر الخاسرين وقتهم، فالجميع في مركب الوباء سواء. الجميع يضيع وقته. الكهول والشيوخ، المتقاعدون منهم والنشطون: ما تبقى لهم من الحياة صار عبئاً عليهم وعلى من حولهم. كُبُوش فداء لعجز الأنظمة الصحية عن التعامل الندّي مع الوباء. فيخافون أكثر، ويعزلون، ويوقفون ما تبقى لهم من حياة، وربما يتمنّون ميتةً سريعة، فالوقت المتبقي لهم من الحياة لا يستحق أن يُعاش، مع استكثار أيامهم المتبقية عليهم وعلى أنفسهم. يقابلهم في أدنى المراتب العمرية الأطفال الذين فقدوا التعليم والمتع والبيئة والاجتماعيات: أصحابهم، جيرانهم، هواياتهم، مدارسهم، أجدادهم، أبناء عمومتهم وخؤولتهم... أمهاتهم، آباءهم، المثقلين بأعباء صارت غالبيتها «منزلية»، ووجود الأطفال الدائم والمتوتر في الإطار «المنزلي» نفسه. والذين بدورهم يضيعون وقتهم بين تعب ونشاط جديد متصالح مع الوباء، أو متحايل عليه. والشباب الذين توقفت آلة التشغيل عن تلقّفهم، أو آلة التسلية والنسيان لصعوباتهم، باستثناء ألعاب «البلاي ستايشن»، العازلة والمعزولة. وقد يهرمون وهم ينتظرون انفراجاً يوظف طاقاتهم المشلولة، أو يلهيهم عن مستقبلهم.

وجميعهم لا يحتاجون لغير الصبر. ولكنه صبر جديد، يختلف عن ذاك الذي يساعدك على تحمّل فظاظة ربّ العمل، أو الجيران، أو العائلة. صبر في ظل الوباء له نكهة خاصة. لكي يدوم، على المرء أن يخترع يومياً طرق «التكيّف» معه. ومع الوقت، سوف يلاحظ أن هذا التكيّف بالذات هو مجرّد إضاعة للوقت. مجرّد تمرير للوقت الضائع، فالتكيّف أصلاً يعني القدرة على التصرّف والعيش بطريقة مرْضية بعد تلقّي الصدَمات. ولكن صدمة كورونا ليست ككل الصدَمات: إنها زاحفة، ممتدّة، بطيئة، غير مرئية، خارجة داخلة. والمؤكد أنه، أي الوباء، سيكون علامة الوقت الذي فتك في أثنائه بالإنسانية. والعبارة الدارجة لن تكون مستهلكة هذه المرّة، إنه «قبل كورنا لن يكون مثل بعده». الوقت موردٌ ثمين، ضاع إلى الأبد. فهو، حتى اللحظة، مميت، نهائي، لا رجعة فيه، غير قابل للطعن، أو الاستئناف (بلغة الحقوقيين). خسائره تطاول البشر قبل الحجر. أشرس من الحرب. لا يعوّض بأية ثروة، بأية طاقة، بأية مراكمة، أو مثابرة على أي شيء. والوعي بخطورة خسارته دفع مجموعة من العلماء ومراكز البحث في الدول الغنية الديمقراطية إلى تشكيل فريق من مختلف الاختصاصات العلمية لإدارة مشروع بحثيٍّ عنوانه «أثر التباعد الاجتماعي على تصور الوقت». والمشروع تحقيق واسع مع مواطني هذه الدول وسؤالهم عن نظرتهم إلى الوقت الذي يمرّ، في أثناء مراحل الوباء المختلفة.

> الوباء لا يساعدك على التعايش «المفيد» مع وقته. يذكّرك في كل ثنية من ثناياه أن الوقت صديقه، ملازمٌ لوجوده

والحسْرة من أن بلادنا في غيبوبة عن فواجعها. ماضية في إضاعة وقت الوباء وتجاهله، فوق وقتٍ آخر يسبقه. عرفت إضاعة الوقت قبل الوباء. وجاء هذا الأخير ليضاعف الخسارة بالوقت. في بلادنا، يضيع الوقت القديم في الحروب والفواجع والحرائق والانفجارات والمقْتلات على أنواعها. يضيع الوقت في تعطيل الدولة نفسها. في الجريمة والسرقة والفساد والاهتراء والتشبيح والفوضى العارمة المضبوطة. في الهجرة الجماعية والفردية، هرباً من خراب عميم. في اليوميات التي تمضي ساعاتها على «التفاصيل» البائخة، غير الطنانة غير الرنانة، غير المقدّسة، التي لا تستحق لقب «القضية المصيرية»، مثل الماء والكهرباء والطعام والنفايات والسقف المثقوب والجدار المنهار .. وعندما نستفيق، سيكون بيننا وبين باقي الأمم سنوات ضوئية. هذا الاكتشاف الكئيب، هل يدفعنا إلى اختراع سُبل تقليص عدد هذه السنوات؟

(كاتبة لبنانية)

«إخوان الشيطان»

حلمي الأسمر

في وقت واحد، يلتقي مشايخ و«علماء» شرع و«فنانات» و«إسرائيل» وقادة دول (ماكرون وترامب وغيرهما ..)، وقانونيون ومشرّعون عرب أقحاح، على كيل السباب والاتهامات والشيطنة و«الأبلسة» لجماعة اسمها «الإخوان المسلمون». .. تُرى، ما سر هذه الجماعة، وكيف يلتقي على «إدانتها» الأضداد من مفتين وعلمانيين و«كفار» ومؤمنين؟ وكيف تحوّلت جماعةٌ، تتحدّث كل أدبياتها عن الدعوة إلى الله على بصيرة، إلى «جماعة إرهابية»؟

في وقت سابق من العام الماضي، رفضت بريطانيا تصنيف الجماعة تنظيماً إرهابيا، بعد تحقيقاتٍ استخبارية طويلة، وإنْ أبقت نشاطاتها والمؤسّسات التي تدعمها تحت المراقبة. قيل حينها إن بريطانيا لم تغامر بإعلان الجماعة تنظيما إرهابيا خوفا من ردود الفعل التي يمكن أن تحصل في بريطانيا والدول الأوروبية جرّاء هذا الأمر. وقبل هذا، في منتصف العام 2011، تحدّثت هيلاري كلينتون، إبّان تسلمها وزارة الخارجية الأميركية، عن «علاقات» من نوع ما بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين. وقالت، في حينه، في خطاب ألقته في بودابست: «الإدارة التزمت بالمنهج الذي اتبعته على مدى السنوات الخمس أو الست الماضية، وما زالت تلتقي بممثلي الإخوان المسلمين». وبرّرت كلينتون، في تصريحاتها، الخطوة قائلة: «نظرًا إلى الظروف المتغيرة في المشهد السياسي في مصر، من مصلحة الولايات المتحدة أن تكون على اتصال مع جميع الأطراف الملتزمة بالسلام والالتزام بالسلوك اللاعنفي». ما يعني أن الولايات المتحدة اعترفت، في حينه، وكانت ثورات الربيع العربي في ذروتها، بالإخوان المسلمين عاملا صاعدا ولاعنفيا ومعزّزا في السياسة المصرية. ولأن للولايات المتحدة مصالح في مصر والمنطقة، فهي تدرك أنه لا مفر من توطيد العلاقات معهم.

ومن المعروف أن لدى الولايات المتحدة قائمة بالحركات المصنّفة إرهابية، ولم تدرج أي إدارة أميركية جماعة الإخوان المسلمين في تلك القائمة. ولا حتى إدارة ريغان أو بوش أو ترامب. ولو كانت هناك أسبابٌ لوضع جماعة الإخوان المسلمين على القائمة، فإن المخابرات الأميركية ستطلب ذلك، وسوف يلتزم رؤساء الولايات المتحدة على الفور. ولكن لم يحدث أيٌّ من هذا، لأن الإخوان المسلمين أعلنوا معارضتهم العنف، حتى حينما تعرّضوا له، وكانوا من ضحاياه طوال سنوات عمل الجماعة، منذ تأسيسها في بدايات القرن الماضي. ويرى باحثون هنا أن تصريح كلينتون أشار، في حينه، إلى أن الأميركيين يعدّلون سياساتهم مع الواقع السياسي الجديد الذي ظهر في أعقاب الربيع العربي. الدافع الرئيس لذلك هو «السياسة الحقيقية»: الإخوان المسلمون قوة سياسية صاعدة، وهم ملتزمون بالقانون، يلعبون لعبة الأحزاب الديمقراطية وفق قواعد اللعبة المقبولة. لذا تحدثوا معهم. منذ ذلك الحين، تغيرت أشياء كثيرة، فقد تكفّلت «الثورة المضادّة» بإجهاض الربيع العربي، ولوحق الإخوان المسلمون، وما يسمى «الإسلام السياسي» في غير بلد، عربي وغربي، إلى أن وصل الأمر ببلد كالسعودية إلى دفع «هيئة كبار العلماء» فيها إلى القول بـ«انحراف» الإخوان، لأنها «لا تتبع منهج الإسلام»، وبذلك هي بحسب الهيئة المذكورة «جماعة إرهابية»، وهو تعبير سياسي لا شرعي، بل ليس له مكانة أصلا في الأدبيات الشرعية لا قديما ولا حديثا، وهو «فخّ» وقع فيه علماء شرعيون لهم تاريخ طويل في التعامل مع النص الشرعي، خوفا، كما يبدو، من بطش محتمل إن هم لم يتماهوا مع رغبة الحكم، وكي لا يلاقوا مصير من رفض «تفصيل» الفتاوى على مقاس تلك الرغبة.

رحبت «إسرائيل» بالموقف «الشرعي!» الجديد، واعتبرته، وفق تغريدة على تويتر لـ«إسرائيل بالعربية»، موقفا حميدا يدعو إلى السعادة قائلة:» يسعدنا، نحن في إسرائيل، أن نرى هذا المنهج المناهض لاستغلال الدين للتحريض والفتنة، ولا شك أن جميع الديانات السماوية جاءت لزرع المحبة والإلفة بين الناس. نحن في أمس الحاجة إلى خطاب يدعو للتسامح والتعاون المتبادل للنهوض بالمنطقة برمتها. حياكم الله».

ذهب المحللون من مذاهب شتى في تفسير الموقف الجديد لتلك الهيئة، وأسباب خروجه في هذا الوقت بالذات، بعد انهيار حكم ترامب وحزبه، واستدعاء مواقف الحزب المضاد (أوباما، وكلينتون، وبالتالي بايدن)، وقالوا إنه إجراء استباقي لأي مواقف قد تنتهجها الولايات المتحدة في عهد بايدن. وقد يكون لهذا الرأي بعض الوجاهة، لكن السبب وراء أبلسة الإخوان المسلمين، ونعتهم بأنهم «إخوان الشيطان»، هو أبعد من هذا بكثير، خصوصا وأن عملية الشيطنة اليوم في بلاد العرب يتردّد صداها في بلاد الغرب، حيث «تتنمّر» أنظمة وزعماء ودول غربية ضد كل ما هو مسلم، وربما يكون ماكرون وسفهه التعبير الأكثر فظاظة عن هذا النهج.

> تكفّلت «الثورة المضادّة» بإجهاض الربيع العربي، ولوحق الإخوان المسلمون، وما يسمى «الإسلام السياسي» في غير بلد

الإخوان المسلمون، والإسلام السياسي، والإسلام، والتطرّف الإسلامي، هي مترادفات غالبا ما تعبر عن كنه واحد في الخطاب المضاد لمليار ونصف المليار من سكان الأرض، لكن بعضهم يتذاكى، فيخص «الإسلام السياسي» بغضبه وهجائه، احتيالا على المصطلح، والتفافا على ما تخفيه الصدور. وإن كان الإخوان المسلمون إخوانا للشيطان، فثمة شكٌّ كبيرٌ في أن الشيطان أعلن إسلامه، وترك مهمة الشيطنة لأنظمة وحكام وقادة دول يعانون من هستيريا «الإسلاموفوبيا»، ليس لشيء إلا لأنهم يخشون عدالة الإسلام وتسامحه ورحمته (وسطوته أيضا!)، وكل هذه القيم لا تتسق مع وحشيتهم وعدائهم المزمن للخير بمفهومه المطلق.

هناك ثلاثة «أخطاء» فاحشة ارتكبها «الإخوان»، تجعل من المستحيل التسامح معهم. لعل أولها رفضهم وجود «إسرائيل»، ومحاربتها فور إعلان قيامها، و«تفريخهم» فيما بعد لحركة المقاومة الإسلامية التي كانت ولم تزل سببا لإحراج المتخاذلين والمطبّعين والجواسيس. ونجاحهم الدائم في أي انتخابات نزيهة يمكن أن تجرى في أي بلد عربي (حتى مع استعدادهم للقبول بمبدأ تداول السلطة!). وسعيهم الدؤوب إلى تغيير الواقع البائس للجماهير العربية، حتى لو كان هذا السعي بالوسائل السلمية عبر صناديق الاقتراع تحت سقف القوانين والدساتير الوضعية... هذه الأخطاء «القاتلة» تجعلهم مطرودين (إلى الأعلى)، ففي كل مرّة تعرضوا لشبه إبادة قاموا من بين الرماد، ليس لأنهم عباقرة وأساطير، بل لأنهم التعبير البسيط القريب لنفوس الجماهير من هذا الدين العظيم، وهذا هو الخطأ الرابع.

(كاتب من الأردن)

اجتماع نيوم... هل سقط حجَر التطبيع السعودي؟

حسام أبو حامد

تناقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية، يوم الإثنين الماضي (23 نوفمبر/ تشرين الثاني)، ما يفيد بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، يصحبه رئيس جهاز الموساد يوسي كوهين، التحق في مدينة نيوم الساحلية السعودية، باجتماع ضم ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ووزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو. تؤكّد الدلائل المتوفّرة حدوث الاجتماع، على الرغم من تأكيد وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان أن «المسؤولين الوحيدين الحاضرين للاجتماع كانوا أميركيين وسعوديين». أما صحيفة وول ستريت جورنال، فنقلت عن مستشار سعودي بارز قوله إن الجانبين، الإسرائيلي والسعودي، ناقشا قضية التطبيع والتهديدات الإيرانية. وفي مقابلته مع إذاعة جيش الاحتلال، أكد وزير التربية والتعليم الإسرائيلي يوآف غالانت أن الاجتماع في نيوم قد عقد، ووصفه بـ«الإنجاز المذهل». ورصدت مواقع تعقب الطائرات (منها Flight Radar 24)، مسار الطائرة الخاصة التي يملكها رجل الأعمال الإسرائيلي أودي أنجل، واستخدمها نتنياهو في رحلات خارجية سابقة، وهي تقلع من مطار بن غوريون في تل أبيب، بعد ظهر يوم الأحد، حتى هبوطها في نيوم في العربية السعودية. تم إبقاء الرحلة التي كانت في طور الإعداد منذ حوالي شهر سرّيةً بإحكام، ولم يعلم بها وزيرا الدفاع والخارجية، ولا حتى رئاسة أركان الجيش. رفض نتنياهو التعليق على الموضوع، لكنه أكد أنه «يعمل على توسيع دائرة السلام». وقد يكون من السذاجة الاعتقاد أن التسريبات عن الاجتماع خرجت عن إرادة نتنياهو، فليست هي المرّة الأولى الذي يستخدم فيها تكتيك فضح أي لقاء سرّي يجمعه بمسؤولين عرب، موظفًا ذلك في وجه خصومه من السياسيين في إسرائيل، بوصفه صانعا للسلام. ومنذ أوائل العقد الماضي، سعى نتنياهو إلى مقابلة كبار المسؤولين السعوديين على متن سفينة أميركية في البحر الأحمر، لكن مساعيه لم تثمر، وما انفكّ يعتبر السعودية الدولة الخليجية الأكثر أهمية، والقائد الفعلي للعالم الإسلامي السني.

وفي حين يبدو أن ولي العهد السعودي الشاب أكثر انفتاحا تجاه التطبيع مع إسرائيل، حتى من دون إحراز تقدّم في عملية السلام المُحْتَضِرَة، فإن النفي الموارب لوزير الخارجية يعكس تردد ملك السعودية، سلمان بن عبد العزيز، في منح علاقات بلاده الودودة تجاه إسرائيل طابعا رسميا، فيعرّض للخطر النفوذ السعودي في العالم الإسلامي، ولا سيما مع منافستين، تركية وإيرانية، ما يفقد نظامه مزيدا من الشرعية، الإسلامية والعربية والمحلية. لذلك يتمسك بالنهج السعودي التقليدي، وبمبادرة السلام العربية التي طرحتها السعودية العام 2002، وتجعل من تطبيق حل الدولتين شرطا أساسيا للتطبيع. مع ذلك، بارکت الرياض قرارات جيرانها في كل من أبوظبي والمنامة بالتطبيع رسميا مع إسرائيل، وفتحت مجالها الجوي للرحلات الجوية الإسرائيلية المتجهة إلى الإمارات، غير أن مفاوضات التطبيع مع السعودية إلى طريق مسدود، ولكن اجتماع نيوم، قبل شهرين من مغادرة الرئيس الأميركي دونالد ترامب البيت الأبيض، وشعور الطرفين، السعودي والإسرائيلي، أنهما على وشك خسارة حليف مهم في واشنطن، قد يسّرع الطريق نحو تطبيع رسمي.

قد يحقّق اندفاع السعودية وغيرها إلى التطبيع مع إسرائيل مصالح مباشرة، لكنه لن يؤدّي إلى تعزيز السلام أو الاستقرار في الشرق الأوسط، كما هو معلن، فعلى غرار اتفاقيات التطبيع السابقة، لن تعالج اتفاقية سعودية إسرائيلية محتملة نقاط الضعف الأساسية التي تسبب العنف وعدم الاستقرار، وفي مقدمها استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية، وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم؛ استبداد الأنظمة، وتعثر الانتقال الديمقراطي؛ مظاهر اللامساواة العنيفة التي تستمر في تأجيج الشارع العربي ونقمة الشعوب على حكوماتها. وقد تخسر السعودية وضعها الاستثنائي القيادي لصالح جهاتٍ فاعلةٍ أكثر عدائية أو غير حكومية. وسيتعين عليها، وعلى غيرها من أنظمة عربية، قمع أي معارضةٍ للتطبيع، سواء صدرت عن قطاعات مجتمعية أو جماعات أيديولوجية، ما يعني دوامة جديدة من العنف والعنف المضاد.

> قد يحقّق اندفاع السعودية وغيرها إلى التطبيع مصالح مباشرة لكنه لن يؤدّي إلى تعزيز الاستقرار في الشرق الأوسط

من المفيد للرياض أن تتنازل عن وهمٍ يتمثل في أن العلاقات مع إسرائيل هي السبيل لإصلاح أي ضرر في علاقاتها بالولايات المتحدة، ومفتاح استمالة الكونغرس لعلاقات أوثق مع واشنطن، فاعتقادها أن مشكلاتها مع واشنطن هي نتيجة تحيّز الديمقراطيين ضدها، يحجب قدرتها على فهم مدى التعقيد في العلاقات الأميركية السعودية التي لا تقتصر على القضايا الخلافية المدرجة على جدول الأعمال الدبلوماسي الثنائي، بل تتداخل مع مناقشات السياسة الأميركية الداخلية والخارجية، لتشمل قضايا استثمار عناصر القوة الأميركية محليا لا خارجيا؛ استعادة القيادة العالمية للولايات المتحدة مع إعادة هيكلة الجيش وانتشاره وإعادة النظر في المهام المناطة به؛ تحقيق توازن أفضل بين القيم الديمقراطية الليبرالية للولايات المتحدة ومصالحها الخارجية. هذه وغيرها ستكون عوامل حاسمة في التأثير على علاقات واشنطن بالرياض، وغيرها.

(كاتب فلسطيني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ سكرتير التحرير **حكيم عنكر** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads